

الشيخ محمد بن عبد الله
دراسة واقعية

لعماد

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الأستاذ / محمد بن عبد الله

الشيوعية دراسة واقعية: موضوع أقصد به دراسة الشيوعية من واقع وجودها وتركزها في بعض الدول العربية أو الإسلامية كى أبين للقارئ الأثر المدمر والهدام الذى اضطلعت به الشيوعية في هذا البلد أو تلك الدولة من وطننا العربى أو الإسلامى وحتى نكون على بينة من أمر الشيوعية والشيوعيين فلا تغرينا دعاياتها البراقة ولا وعودها الحاملة.

وقد قصدت هذا لأن البعض يعتقد أن الشيوعية مذهب اقتصادى يهدف إلى رفاهية شعوب العالم وبخاصة ما يسمى بالعالم الثالث، وحيث إنه مذهب اقتصادى يبغي مصلحة الشعوب المستضعفة فلا حرج إذن من الأخذ بهذا المذهب وتطبيقه حتى تصبح البشرية كلها مجتمع رفاهية وتقدم وحضارة.

والحقيقة التى أريد توضيحها - مدعمة بالأدلة - هى أن الشيوعية وإن كانت في ظاهرها مذهب اقتصادى فإنها في حقيقتها مذهب يتعارض مع ديننا الإسلامى عقائدياً وأخلاقياً واجتماعياً.

وهذا التعارض الذى أراه وأقول به ليس أمراً ادعائياً، وإنما هو حقائق ووقائع ثابتة تاريخياً، ذكرتها الصحف، وسجلتها الكتب، يعترف بها كثير من الدول العربية والإسلامية، وتقر بها شخصيات عربية وإسلامية لها وزنها وقدرها في الدين والسياسة، وبذلك فحين اذكر واقعة من الوقائع أو حدثاً من الأحداث يتعلق بهذه الدولة أو ذلك البلد من وطننا العربى والإسلامى فليس هذا افتراء وطعنا منى على هذا أو ذاك، وليس هذا اختراعاً من خيالى وإنما هو سرد لوقائع حقيقية وعرض لمشكلات واقعية يجب علينا أن نعيها جيداً حتى لا تقع في براثن الأفكار الشيوعية وحتى نكون على حذر من أساليبها الملتوية والهدامة.

ولكى تتضح لنا الصورة وضوحاً كاملاً فإن البحث سيقوم على العناصر التالية :

١ - علاقة الشيوعية بالصهيونية

٢ - كيف دخلت الشيوعية إلى بعض البلاد العربية أو الإسلامية.

٣ - الشيوعية والعالم العربى أو الإسلامى.

١ - الشيوعية والصهيونية :

حين نقوم بدراسة المبادئ التى طبقتها الشيوعية على البلاد التى دخلتها نجد أنها تلتقى مع الصهيونية من أجل هدف واحد ألا وهو تخريب العالم وبث الفساد الأخلاقى والتحلل من العقيدة الإسلامية بين صفوف الشباب بل فى المجتمع كله.

وهذه الحقيقة قد كشفها وبينها جلالة المغفور له الملك فيصل حين قال: «إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة للعالم لتحقيق أهدافه من التقدم والاستقرار، والعالم يحتاج إلى البناء لا الهدم والتخريب ولكن الشيوعية والصهيونية لم تتركنا لنا الفرصة لبناء بلادنا وشعوبنا، وعندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ولكن الحقيقة أن الصهيونية ولدت الشيوعية وهدفها الأساسى هو التخريب والتحطيم... وقد بدأت الشيوعية والصهيونية الآن فى إدخال نظريات هدامة للتأثير على النشء الجديد لينشأ ضعيفا لا يعتمد عليه، كما أنهم أفسحوا التحلل الخلقى والنظريات التخريبية للتأثير على المجتمع والأخلاق»^(١)

بهذه الكلمة العظيمة لشهيد القدس جلالة الملك فيصل نتبين حكمة جلالته السياسية ومعرفته بالشيوعية العالمية فقد تضمنت هذه الكلمة عدة مبادئ هى:

١ - الشيوعية نبتت فى منابت الشر والسوء والفساد ومن كان كذلك لا ينتج إلا شرا وفسادا وسوءا.

٢ - الشيوعية والصهيونية تهدفان إلى خراب العالم وبخاصة العالم الإسلامى.

٣ - الشيوعية والصهيونية تزرعان النظريات الهدامة داخل المجتمعات للتأثير على الناشئة وإضعافهم خلقيا ودينيا.

٤ - الشيوعية والصهيونية تفشيان وتشيعان التحلل الخلقى للتأثير على أخلاقيات المجتمع وإضعاف العقيدة الإسلامية فى نفوس الناس.

(١) الشيوعية والإسلام - أحمد عبدالغفور العطار (ط ٣ سنة ١٩٨٠) ص ١٠/٩

والحقيقة أن الصهيونية التي دمرت أرضنا وبيوتنا، والشيوعية التي دمرت العقائد والأخلاق وجهان مختلفان لعملة واحدة يدل على هذا أن أول أعمال الثورة الشيوعية كان إصدار قرار يأمر بالمحافظة على اليهود وما يمتلكون ويحرم التعرض لهم أو لممتلكاتهم بحال من الأحوال.

ولقد أصبح من الأمور المعروفة لدى كل دارس أن الذين خططوا للثورة الشيوعية ومولوها ووقفوا وراء ولادتها وتطورها كانوا من اليهود، فكارل ماركس مؤسس الشيوعية حفيد الحاخام «مردخاي ماركس» و«لينين» الذي حوّل كلمات ماركس إلى واقع ومذهب شيوعي هو يهودي من أم يهودية وأب يهودي، بل إن زوجته كانت هي الأخرى يهودية.

والمكتب السياسي الأول للثورة البلشفية مكون من سبعة أشخاص، خمسة منهم من اليهود لأبوين وهم:

لينين - تروتسكي - كامنيف - سوكولنكوف - زينوفيف، أما ستالين فزوجه يهودية وزوج ابنته يهودي، والروسي الوحيد الذي لم يكن يهوديا هو بينوف.

وأول حكومة شكلها لينين سنة ١٩١٨ كان أغلبها يهود، فعدد الوزراء كان ٢٢ وزيرا منهم ١٧ يهوديا، وإدارة الحرب كان عدد من فيها ٤٣ منهم ٣٤ يهوديا، ولجنة الشؤون الداخلية ٦٢ منهم ٤٥ يهوديا، ولجنة الشؤون الخارجية ١٧ منهم ١٣ يهوديا، لجنة الصحافة ٤٢ اليهود منهم ٤١ وبمجموع كبار الموظفين ٥٣٢ منهم ٤٢٥ يهوديا^(٢).

وهكذا كانت كلمة الملك فيصل السابقة صادقة ومعبرة عن حقيقة العلاقة بين الشيوعية والصهيونية، فهل بعد هذه العلاقة يقبل مسلم أن يكون تابعا للشيوعية وهي وليدة الصهيونية وكلاهما لا يريد الخير للمسلمين ولا للإسلام؟

٢ - كيف دخلت الشيوعية إلى بعض البلاد العربية والإسلامية؟

حين فكرت الشيوعية في الدخول إلى العالم العربي والإسلامي لم تكن من السداجة

(٢) أنظر في هذا: التاريخ السري للعلاقات الشيوعية والصهيونية ص ٣٣، الأنقى اليهودية لعبدالله التل ص ٤٤، السلطان الأحمر ص ٤٧/٤٩، هذه هي الشيوعية لعبدالحفيظ محمد ص ٩٤

بحيث تدخل علما جديدا دون دراسة هذا العالم دراسة وافية تعطى صورة واضحة عن عقائده وأماله ومتطلباته ورغباته وعاداته وتقاليده، ولم تكن من السذاجة والعفوية بحيث تدخل إلى قلب العالم العربي والإسلامي بقوة القهر والفتك والبطش^(٣) ولكن الثعلب الماكر - أقصد الشيوعية - سلك طرقا ملتوية ملؤها الخداع ومسحتها النفاق والدهاء، فتارة يستغل الظروف الاقتصادية أو العسكرية لبلدٍ ما ليكون ذلك مدخلا ينفذ منه إلى قلب هذا البلد، وتارة أخرى ينصب من نفسه مدافعا عن الطبقات العاملة والأسر الفقيرة وذلك ليستميل قلوب هذه الطبقات وعن طريقها يدخل إلى قلب ذلك البلد، وما إن تدخل الشيوعية إلى بلدٍ ما إلا وتسلك مسلكا أشد عنفا في الخبث والدهاء لتصل إلى مآربها في فصل الشباب عن دينه ووطنه وجعله سائرا في ركابها مندفعاً في تيارها ومدافعاً عن مبادئها وأهدافها وبالتالي يكون ولاء هذا الشباب للشيوعية، فالشيوعية قبل الدين، والشيوعية قبل الوطن، والشيوعية قبل كل شيء، يقول الدكتور عبدالحليم محمود «إنهم - أي الشيوعيون - يعرفون أن ولاءهم للشيوعية وأنه إذا تعارضت مصلحة الشيوعية مع مصلحة وطنهم فإنه مع الشيوعية ضد وطنهم، إنهم مع الشيوعية عملاء ومع الشيوعية جواسيس ومع الشيوعية إثارة للفتن بين الطلاب وإثارة للقلقل بين العمال وإثارة للاضطرابات في المجتمع^(٤)».

ولقد كان جلالة الملك المفدى «فهد بن عبدالعزيز» مدركا لأساليب الشيوعية ومراميها فحذر الأمة الإسلامية من الشيوعية حين أعطانا بعضاً من صور التسلل الشيوعي إلى داخل وطننا الإسلامي وذلك من خلال كلمته التي قال فيها:

«وأوجدت الشيوعية لنفسها خلايا ومراكز وأحزابا في داخل البلدان غير الشرعية التي ترتبط مع الدول الشيوعية بعلاقات سياسية، والأحزاب الشيوعية جميعها يرتبط بعضها ببعض ارتباطا عقائديا وفكريا... .. والشيوعية طامعة في ضرب الإسلام في كل أقطاره وبدأت بالحرب الثقافية والفكرية فأصدرت رسائل وكتيبات ملأناها بالطعن في الإسلام ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لتشكك الناشئة المسلمة في دينها تمهيدا لتحويلها إلى الشيوعية^(٥)».

(٣) وإن كانت قد سلكت هذا المسلك فيما بعد وحين تقلصت العقيدة في نفوس بعض الناس، ونسيت بعض الدول عقيدتها الإسلامية.

(٤) فتاوى عن الشيوعية (ط ٢ دار المعارف) ص ١٠

(٥) فتاوى عن الشيوعية - د/عبدالحليم محمود ص ٢٦/٢٥

ولكى تتم الفائدة ويكون شبابنا المسلم أكثر ولاء للإسلام ولأرض الإسلام فإننى أضع تحت أيديهم وأمام أعينهم صورا واقعية توضح وسائل الشيوعية فى الدخول إلى وطننا العربى والإسلامى.

أ - لقد دخلت الشيوعية الى بعض البلاد العربية والإسلامية تحت ستار الإصلاح الاقتصادى ورفع المعاناة عن الطبقات الكادحة فكانت تنادى هنا وهناك بأنها متعاطفة مع الشعوب المطحونة من الرأسمالية والجماعات الاستغلالية ولذلك فهى لن تألو جهدا فى سبيل الدفاع عن حقوق هذه الطبقات الفقيرة لأنها - أى الشيوعية - العدو اللدود للأغنياء والأثرياء، الصديقة العطوفة على الفقراء والضعفاء، المدافعة عن حقوق العمال والفلاحين.

وتتلون الشيوعية فتدعى أنها لا تعادى الأديان فما هى إلا دعوة اشتراكية هدفها رفع المعاناة عن الضعفاء والأخذ من الأغنياء لمساعدة المحتاجين والفقراء، وهذا ماجاءت به الأديان السماوية

وصفقت الطبقات الفقيرة لهذه الدعاية الخبيثة ونسيت عقيدتها ودينها.
وهللت الطبقات العمالية والفلاحون لهذا البطل المنقذ لها من الفقر والاستغلال ونسيت عقيدتها ودينها.

وبهذه الوسيلة وبهذه الخدعة دخلت الشيوعية إلى بعض بلادنا العربية والإسلامية، وفى سبيل رفع المعاناة هذه بدأت الشيوعية بما أسمته إصلاحا اقتصاديا، فهاذا فعلت؟ لقد أمت الممتلكات الصناعية والتجارية والزراعية، وأبدعت بدعة الإصلاح الزراعى والمزارع الجماعية والجمعيات التعاونية^(٦)، ألفاظ براقة تخفى تحتها السم الزعاف، فلقد جر هذا الإصلاح الاقتصادى على المجتمع المصرى الفقر والبلاء والاستهتار بكل شئ حتى الأرض التى كانت كل شئ فى حياة الفلاح المصرى أصبح لا يعنى بها لأنه لا يرى عائدا مجزيا يعود على بيته وأهله بالخير والكرامة، ولقد كان يجد ويمجتهد ويقف تحت حر الشمس يتصبب منه العرق أملا فى الحصول على عائد مجزٍ ولكنه آخر العام كان يسلم إنتاجه إلى هذه الجمعيات

(٦) الحقيقة أنه كان فسادا زراعيا، ومزارع للكفر والإلحاد، وجمعيات تجمع بين جنباتها اللصوص والأفاقيين.

التعاونية - دون أن يكون له حرية التصرف في إنتاجه - فلا يفي الإنتاج بما عليه من ديون
أدين بها كذبا وافتراء.

ثم هاهو التأميم - وعشوائية التأميم - قد قضى على أسر كثيرة ودمر عائلات متعددة، لقد
كان هذا التأميم نوعا من الاستيلاء على ممتلكات الغير دون مراعاة للإسلام الذى يقر حرية
التملك الحلال، ودون مراعاة لما بذله أصحاب هذه الممتلكات من جهد وعرق فى سبيل
تكوين هذه الشركة أو ذلك المصنع.

إن مبدأ التأميم هذا ما كان يرعى حرمة ولا ديننا، فإذا رغب معتقوه فى تطبيقه على هذه
الجماعة أو تلك الأسرة فإنهم يفتعلون الاتهامات ويكيلون لهذه الجماعة جل المصائب
ويتهمونهم بالتخريب والتدمير ثم يسلبونهم ما يمتلكون بحجة أنهم خارجون عن سلطة الدولة
والحكومة، لكن هل راعوا أن هذه الممتلكات التى أمموها قد تكون حقاً لأرملة أو يتيم أو عجوز
لا يقدر على العمل أو أطفال صغار أو شباب يتعلمون؟

لقد كنا نسمع عن رجل أصابه الشلل بسبب تأميم ممتلكاته، أو عن آخر مات بانفجار فى
المخ بسبب هذا التأميم، وعن ثالث أصابه الجنون نتيجة لتأميم ما يملكه.
ثم أين ذهبت هذه الممتلكات التى أمموها ؟
يجب على هذا أحد الشيوعيين بقوله: «الشيوعية تستخدم الأملاك المؤممة وتتمتع بها وتتصرف
فيها»^(٧).

ولقد ثبت لدى كل عاقل أن مصطلحات الإصلاح الزراعى والمزارع الجماعية
والجمعيات التعاونية التى جاءت بها الشيوعية تحت ستار الاشتراكية ما هى إلا مساحيق تخفى
وراءها الظلم والاستبداد والاستغلال، فلقد شاهدت بنفسى الفلاح يبيع ماشيته كى يسدد
الديون التى أرقهها بها الإصلاح الزراعى والجمعيات التعاونية.

ولقد شاهدت وعرفت بعض الفلاحين الذين تسلموا أرضا من الإصلاح الزراعى يتركونها
بعد عدة سنين بسبب الديون التى يرهقهم بها الإصلاح الزراعى ويفضلون العمل اليدوى،

(٧) لعبة اليمين واليسار - د/ عماد الدين خليل - ص ٢٨

اليومى على هذا التملك الذى لا يجنى الفلاح من ورائه إلا فقرا تلو فقر وسوءا تلو سوء، ولم تتحسن أحوال هذا الفلاح إلا بعد أن رحل الشيوعيون عن أرض مصر.

وهذه الشيوعية التى تدعى أنها رائدة الإصلاح الاقتصادى متورطة اقتصاديا وتتن تحت وطأة مشاكلها الاقتصادية فلعلنا لا ننسى ان الشيوعية بقدراتها وإمكانياتها لم تستطع أن تف باحتياجات شعب روسيا من القمح فأخذت تستورده من أمريكا، بل إنها فى كثير من الصناعات الحديثة تلجأ إلى دول أخرى لتساعدها بخبرتها وخبرائها، فأين دعوى الإصلاح الاقتصادى؟ وأين الرفاهية التى تدعى الشيوعية أنها فى ركايتها أينما حلت وأينما كانت؟ يقول خروشوف «إن البقرة التى يملكها صاحبها تدرأكثر من البقرة التى تملكها الدولة»^(٨).

ب - وحين تقع دولة من الدول العربية أو الإسلامية فى ورطة أو مأزق فإن الشيوعية تسارع إلى انقاذ هذه الدولة وانتشالها من ورطتها ليس حبا فى مساعدة هذه الدولة وتعاطفا معها - وإلا كان هذا عملا طيبا - وإنما من أجل إحكام قبضتها على الفريسة وإيقاعها فى براثن الاتفاقيات والمعاهدات التى تملى من القوى على الضعيف، وهذا هو ما حدث لمصر، فحين اتفق الغرب على تجويع شعب مصر وحرمانه من حق الدفاع المشروع عن نفسه سارعت الشيوعية فمدت يد المساعدة لمصر قمحا وسلاحا، ولكن للأسف لم يكن الهدف من هذا هو مساعدة مصر فى ورطتها وإنما كان الهدف هو استئالتها بهذه المساعدات لجانب الشيوعية فتحكم قبضتها على مصر وبالتالي القضاء على إحدى قلاع الإسلام بما فى ذلك الأزهر ومعاهده الدينية والمساجد ودور العبادة ولقد تنبه أحد القادة المصريين لدور الشيوعية هذا - ولكن بعد فوات الأوان وظهور مفعول السم الشيوعى - فقال فاضحا أساليبها «لقد حاول الشيوعيون بكل وسيلة من الوسائل أن ينفذوا إلى الجيش فى مصر لكننا كنا على بينة من أمرنا ... ولم نكن نستطيع أن نغير إيماننا وأن نؤمن بالإلحاد والتبعية لأن الشيوعية..... تؤمن بالإلحاد وتؤمن بالتبعية.... لقد انقض حقد الشيوعيين العرب علينا فى مصر وجابهونا بحملات كثيرة»^(٩).

ج - ومن أحقر الوسائل التى تسللت الشيوعية عن طريقها إلى بعض البلاد العربية

(٨) الماركسية فى الميزان - محاضرة ألقاها الدكتور / محمد عبدالفتاح عليان بكلية الشريعة بأبها سنة ١٣٩٩ هـ ص

(٩) تجربة عربى فى الحزب الشيوعى - قدرى قلعجى ص ٣٢٠/٣٢١

والإسلامية تلك الوسيلة الحقة التي تقوم على زرع الخلايا الجاسوسية والوصول إلى الوظائف المهمة هنا وهناك كى يكون للشيوعية قواعد قوية من الشباب في كل مكان وفي كل اتجاه تستخدمها لتنفيذ مآربها إذا ما حانت الفرصة لإعلان الشيوعية في هذا البلد أو تلك الدولة، ولقد طبقت الشيوعية هذا المبدأ على كثير من بلادنا العربية والإسلامية تنفيذا لوصية أعدتها روسيا الشيوعية وتسربت إلى مجلة «كلمة الحق» فنشرتها في عددها الصادر في شهر المحرم سنة ١٣٨٧ هـ (إبريل سنة ١٩٦٧م) وكان مما جاء في هذه الوثيقة:

«وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجهد وقد استطاعوا أن يشبوا إلى المناصب الرئيسية في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ووفقوا حسب تعلقاتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفيقهم إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعى وأنصارنا منشون في كل الوزارات والإدارات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية، واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد اتساعا ويزداد تغلغلهم على مرّ الأيام»^(١٠).

وهؤلاء الأنصار الذين تبثهم الشيوعية هنا وهناك يمثلون خلايا سرطانية منبعها في روسيا وولاؤها للشيوعية العالمية ولا عبرة لدينهم ولا لوطنهم، المهم صعود الشيوعية إلى القمة وسيطرتها على كل شىء في هذا البلد.

ولقد سلكت الشيوعية طرقا متعددة في سبيل زرع هذه الخلايا السرطانية في داخل الوطن العربى والإسلامى، نذكر منها على سبيل المثال:

منذ عام ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٢٧ أرسلت الشيوعية بعض مبعوثيها إلى مصر لنشر مبادئها بطريقة ملتوية، فأحدهم جاء إلى الاسكندرية ومعه ابنته وافتح محلا للمجوهرات وجعل من محله وكرا للشيوعية ومن ابنته أداة لنشر هذا الأخطبوط الأحمر. ومرة أخرى وفي عام ١٩٢٧ ترسل الشيوعية بعض أتباعها لإنشاء مكتب للقطن والذي تحول إلى خلية شيوعية في أوساط العمال والطلاب^(١١).

(١٠) الشيوعية والأديان - طارق حجي (من مطبوعات الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية) ص ٤٨

(١١) تجربة عربى ٢٠/١٩

وبعد فترة من السنين يأتى شيوعى آخر إلى مصر ويجعل من بيته مركزا لنشر الشيوعية يساعده فى هذا المساعدات المالية الضخمة التى كانت ترسلها له موسكو والتى كان ينفق منها ببذخ حتى سُمى المليونير الأحمر، ثم تلا هذا تأسيس أربع منظمات شيوعية فى مصر رؤساؤها كلهم من اليهود^(١٢).

وقد حدث مثل هذا فى العراق أيضا، ففي عام ١٩٢٩ جاء إلى مدينة الناصرية رجل سُمى نفسه بطرس أبوناصر وافتتح حانوتا صغيرا للخياطة، وعن طريق هذه المهنة اتصل بأبناء الناصرية وبدأ يث الدعوة للمبادئ الشيوعية هنا وهناك وأصبحت له خلايا فى كثير من الأماكن إلى أن تكتشفت حقيقة أبى ناصر هذا فهو روسى يعمل ضابطا فى الجيش الروسى جاء من موسكو لبث الأفكار الشيوعية فى العراق العربى المسلم^(١٣).

وهكذا فى كل مكان تريد الشيوعية دخوله فإنها تعبى الجهود وتزرع الخلايا الجاسوسية التى تجعلها أداة طيعة فى يدها لحين الانتفاض بها على كل حضارة وتقدم فى هذا البلد أو تلك الدولة، فلا تدع دينا يعلو ولا استقرارا يتم، ولا حضارة تتقدم، وكما قال جلالة المرحوم الملك فيصل «إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة لتحقيق أهدافنا من التقدم والاستقرار، والعالم يحتاج إلى البناء لا إلى الهدم والتخريب ولكن الصهيونية والشيوعية لم تتركنا لنا الفرصة لبناء بلادنا وشعبنا»^(١٤).

ولقد كان من آثار هذه الخلايا فى مصر تلك الضربات التى وجهت مرات متعددة إلى الإخوان المسلمين وإلى التعليم الأزهرى فى مصر.

د - ومن أخطر الوسائل التى اتبعتها الشيوعية فى الوصول إلى قلب العالم الإسلامى ما أساءه الشيوعيون العرب بالمزاوجة بين الإسلام والشيوعية، فلكى تدخل الشيوعية إلى قلب المسلم ويطمئن إليها ويسلم لها كان دعايتها يدعون أن المبادئ التى تدعو إليها الشيوعية لا تباعد عن مبادئ الإسلام فى شئ، فإذا كان الإسلام يدعو إلى المحبة والإخاء والرخاء

(١٢) التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية ص ١٧٤

(١٣) تجربة عربى ص ٢١

(١٤) فتاوى عن الشيوعية ص ١٩

فالشيعوية لا تبتعد عن هذه المبادئ في شيء، أليست الشيعوية هي التي تدعو إلى الاشتراكية؟ أليست الشيعوية هي التي تدعو إلى مشاركة العمال في الأرباح حتى لا يستأثر بها أصحاب المصانع والمزارع؟ أليست الشيعوية هي التي تعمل على رفع مستوى معيشة العامل والفلاح والفقير؟

نعم إنها هي التي تدعو إلى هذا كله، وهذا شيء لا يكرهه الإسلام ولا ينقضه الدين، وفي هذا يقول أحد الشيوعيين المصريين^(١٥) إنه لا تناقض على الإطلاق بين الإسلام والاشتراكية فالإسلام منذ بدئه دعا إلى الاشتراكية، والاشتراكية هي مبادئ الإسلام^(١٦).

وعلى رأى الشيوعيين العرب فإن أبا ذر الغفاري رائد الاشتراكية الإسلامية، والدعوة الإسلامية كانت ثورة على الطبقة والاستغلالية، ومحمدا صلى الله عليه وسلم هو الاشتراكي الأول الذي قضى على سيطرة الطبقة العليا على الطبقات الدنيا.. الخ هذه العبارات الرنانة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

وهذا التشويه والتمويه هو مصيبة المصائب، فالشباب - بهذا العمل - يتلقى مبادئ دينه عن جماعة ضالة مضلة استأجرتهم الشيوعية لحسابها فتكروا لدينهم ولوطنهم. يقول أحد الكتاب المسلمين «وهناك.... طامة إلحاق الدين بالشيوعية أو الاشتراكية في نقاط الاتفاق الوهمية المصطنعة... فإذا كانا يتفقان في كذا وكذا فذلك نصر للاشتراكية وحدها باعتباره مدعاة لقبولها بعد أن كانت ملفوظة مرفوضة ومستهجنة.

والأمر لا يخرج عن كونه «تكتيكا خبيثا» أما الماركسيون في العالم الثالث - وفي العالم العربي بشكل واضح - فهم الجند المخلصون لهذا التكتيك، وهكذا نجد صحفا يسارية عربية - كمثال - تفرد الصفحات الطوال للحديث عن اشتراكية الإمام علي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري... ونجد أحد الجنود يكتب أن حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

(١٥) وهو كمال الدين رفعت أمين الدعوة والفكر في الاتحاد الاشتراكي المصري، والكلمة في ملحق الجمهورية الديني

بتاريخ ١٩٦٦/٧/١ عدد ٢٨

(١٦) وفي هذا النص إجماع بأن مبادئ الإسلام مأخوذة عن الاشتراكية

«الناس شركاء في ثلاث، الماء والكلاء والنار» إنما يعنى أن مصادر الإنتاج الأساسية هي ملك على الشيوع للمجتمع»^(١٧).

ومما لا شك فيه أن هذا تشويه للحقائق وتقويه مقصود تهدف منه الشيوعية إلى المزوجة بين الإسلام والاشتراكية - التي هي بعينها الشيوعية الحمراء - والتوفيق بين المبادئ الشيوعية والعقائد الإسلامية حتى يقبل الشباب المسلم بنهم على هذه الاشتراكية وينسى دينه وبالتالي يكون أداة طيعة في يد الشيوعية ودمية يحركها الماركسيون أينما يشاؤون ومتى يحبون وفي أى اتجاه يريدون.

ولن أطيل عليك أيها القارىء في تفصيلات التغلغل الشيوعي داخل عالمنا الإسلامي وكيفيني فقط أن أشير إلى ما تقوم به الشيوعية من إغراء الشباب واستغلال ظروفه المالية أو العلمية أو الاجتماعية واستدراج هذا الشباب وإيقاعه في حبالها وبين محالبها «فكل شيوعي تثبت الأحداث صدق عقيدته وصلابة نضاله سيدعى إلى رحلة ترفيهية في الاتحاد السوفيتي»^(١٨).

وأذكرك أيها القارىء بصورة مخزية للشيوعية - وإن كان للشيوعية وجه كالح - تلك هي استغلالها لبعض الفتيات بغية التأثير على بعض الطلاب ونشر الأفكار الشيوعية بينهم»^(١٩).

وأخيرا فإن الشيوعية إذا وجدت الأمور في صالحها للقيام بضربة عسكرية لدخول بلد ما فإنها لن تتوانى عن الإقدام على هذا العمل الإجرامى، وما حدث لأفغانستان ليس منا ببعيد.

وبعد :

فهذه بعض أساليب الشيوعية - وليس كلها - للتغلغل داخل بلادنا العربية والإسلامية ذكرتها حتى نكون على بينة من أمر الشيوعية وخداعها وحتى لا يغتر الشباب بهذه الشيوعية وبصورتها البراقة التي تخفى خلفها أنياب دب كاسر يبغي القضاء على ديننا وعقيدتنا التي هي أفضل الديانات وأصلحها لأمر الدنيا والآخرة .

(١٧) الشيوعية والأديان - طريق حجب ص ٣٨

(١٨) تجربة عربى ص ٥٠

(١٩) المرجع السابق ص ٢٢

«إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (٢٠)
«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٢١)

«وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فِمَّمَتْ وَهُوَ كَافِرٌ»
فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (٢٢).



الشيوعية والعالم العربى والإسلامى

كان للشيوعية أثرها المدمر على عالمنا العربى والإسلامى، وبإحدى ذى بدء يكفى أن أذكر - من واقعنا العربى والإسلامى - أن أى بلد عربى أو إسلامى دخلته الشيوعية فإنه أصبح فقيرا ذليلا: فقيرا فى تمسكه بدينه وعقيدته، فقيرا فى أخلاقه، فقيرا ماليا واجتماعيا وعالميا، وهيا بنا نأخذ صورة سريعة عن بعض دولنا العربية والإسلامية التى دخلتها الشيوعية.

لقد كان بدء المد الشيوعى بمصر ذلك أنه «فى سنة ١٩٥٥ بدأ الشيوعيون السوفيت أول تعامل جدى لهم مع العالم الثالث، وتمثل هذا التعامل فى صفقة السلاح المصرية التشيكوسلوفاكية... وقد قدم لهم حاكم مصر وقتذاك أكبر فرصة فى تاريخهم المعاصر... لقد فتح حاكم مصر وقتذاك أمام الدب الروسى الشيوعى طاقة واسعة لم يحلم بها من قبل وما هى

(٢٠) آل عمران / ١٩

(٢١) آل عمران / ٨٥

(٢٢) البقرة / ٢١٧

إلا شهور وسنوات معدودة حتى كانت القدم الروسية قد وصلت لبقاع عديدة في إفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى» (٢٣).

ودخلت الشيوعية الروسية والعالمية إلى مصر، فهاذا جنت مصر من الشيوعية؟... لقد استقطبت الشيوعية في مصر شباب مصر، تحت شعار «شباب هيئة التحرير»، «شباب الفتوة»، «شباب الاتحاد الاشتراكي».. الخ هذه الشعارات الجوفاء التي أنست غالبية شباب مصر دينه وعقيدته وأخلاقه، أذكر على سبيل المثال زميلا حصل على الدكتوراه في الأدب العربي من روسيا ثم عاد مشبعا بالأفكار الشيوعية التي طبقها على حياته: فحقيقة ذات خط أحمر يحيط بها، وساعة حمراء، كرافته (رباط العنق) حمراء، السيارة حمراء، غرفة جلوسه طلاؤها أحمر اللون، هذا عن مظهره، أما عن مخبره فقد كان مملوءا بالحقد والكراهية على حكام مصر لأنهم طردوا الخبراء الروس وطهروا أرض مصر من إلحادهم وكفرهم، كان دائما يتبأ بهزيمة مصر أمام إسرائيل لأنها تخلت عن صداقتها لروسيا.

ماذا جنت مصر من الشيوعية ؟

لقد جنت ضياعا لشبابها المؤمنين وفتكا برجالها الصادقين في إيمانهم المتمسكين بعقيدتهم، لقد كانت الشيوعية في مصر أخطبوطا يبتلع الأخضر واليابس، فهذه الشيوعية كانت وراء محاولة تصفية «الإخوان المسلمين». والشيوعية هي التي صنعت المكائد والدسائس حتى تقضي على هذه الجماعة المؤمنة «الإخوان المسلمون» ذلك الدرع الحصين للإسلام ضد التيارات الإلحادية والشيوعية الكافرة، وعلى يد الشيوعية وبتخطيط من خلاياها الجاسوسية سددت الضربات تلو الضربات لهذه الفئة المؤمنة حتى تم للشيوعية العربية والروسية ما أرادت من تصفية أرض مصر من شبابها المؤمنين الصامد، ولكن هيهات هيهات فمهما فعل الملحدون ومهما دبرت الشيوعية فستظل مصر مؤمنة بربها متمسكة بإسلامها، وسيظل شبابها متمسكا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا وبالقرآن وحيا كريما.

ماذا جنت مصر من الشيوعية؟

لقد جنت فقرا ونزولا إلى الحضيض، لقد كنا قبل الشيوعية نتمتع بإنتاجنا الزراعي

(٢٣) الشيوعية والأديان ص ٣٦

والصناعى والتجارى بحرية تامة، لقد كنا نتمتع بما تنتجه أرضنا ومصانعنا وكان يكفيننا ويفيض، وما إن جاءت الشيوعية إلى مصر إلا وقد جاء معها الفقر والضياع فأصبحت الأسرة المصرية تحت رحمة التأميم والإصلاح الزراعى والاقتصادى والمزارع الجماعية والجمعيات التعاونية، لقد جاءت الشيوعية وهى تمنينا بجنة وارفة مملوءة بالخيرات المتعددة والسلع الغذائية المتوفرة فأصبحنا لا نجد الملح والخبز، فأين ما أنتجته أرضنا؟ وأين ما أنتجته مصانعنا؟ لقد ذهب إلى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى هنا وهناك، فى داخل البلد وخارجه، لقد ذهب إلى خلايا الجاسوسية الشيوعية التى كانت ضاربة جذورها فى كل مصنع ومزرعة وجامعة ومدرسة بل فى كل شارع وحارة.

ماذا جنت مصر من الشيوعية ؟

لقد جنت فسادا فى الأخلاق، لقد كان الكبير يرحم الصغير، والصغير يوقر الكبير، فلما جاءت الشيوعية جاءت بالمساواة العمياء التى كانت أداة لضرب طوائف الشعب بعضها ببعض، لقد جاءت الشيوعية بالمساواة الظالمة التى ما فرقت بين كبير وصغير فجعلت الابن يضرب أباه، والتلميذ يتعالى على أستاذه، والمرأة تترك بيتها لأن الشيوعية علمتها أن من لا يعمل لا يأكل.

ماذا جنت مصر من الشيوعية؟

لقد جنت الذلة والهوان، فالشيوعية هى التى كانت سببا فى هزيمة مصر أمام إسرائيل، ذلك أنه وقت اشتداد المعركة بينا وبين مغتصب قدسنا كانت الشيوعية - ممثلة فى روسيا ومن يمشى فى ركاياها - تتخلى عنا فلا تعطينا من السلاح ما يكفيننا، وما تعطيه لنا ليس إلا سلاح دفاع فقط أما سلاح الهجوم فهذا محرم علينا لأن الشيوعية ومن يساندها لا تحب أن ترى إسرائيل مهزومة من العرب والمسلمين.

ماذا جنت مصر من الشيوعية؟ لقد جنت خرابا لأكبر جامعة دينية فى مصر ألا وهى جامعة الأزهر فلقد كانت الشيوعية وراء فكرة مزج الدراسات الدينية بالدراسات غير الدينية ولم يكن القصد من ذلك تخريج شباب يجمع بين علوم الدين والدنيا - كما كانوا يقولون لنا -

ولكن فقط لصرف الشباب عن التعليم الدينى إلى التعليم المادى والماركسى، ولقد كانت الوسيلة لذلك هى إظهار العلوم الدينية بمظهر التزمت والجمود والتأخر عن مواكبة ركب الحضارة، لقد كان كل هم الشيوعية هو ملء حفيظة الشباب بالحقد والكراهية لهذه العلوم الدينية لأنها - كما كانوا يقولون - علوم يصعب فهمها واستيعابها ولا علاقة لها بأمور الحياة وتطور الحضارة.

وهكذا كانت الشيوعية دائماً وأبداً تردد هذه النغمة حتى تصرف الشباب عن التعليم الدينى إلى التعليم الدنيوى^(٢٤) حتى يسهل عليها قيادة هذا الشباب والزج به فى غمار الشيوعية الملحدة، وبعد أن كان الطالب منا لا يدخل المعاهد الدينية إلا إذا كان حافظاً للقرآن كله أصبح - وفى ظل الشيوعية - من السهل دخوله إلى هذه المعاهد بحفظ نصف القرآن أو رבעه أو أقل من ذلك^(٢٥)، وبعد أن كان حافظ القرآن يعفى من التجنيد إكراماً له بحفظ القرآن - وهذا بلاشك كان يكثر من حفظة القرآن - أصبح يحرم من هذا الإعفاء وبالتالى قل حفظة القرآن الكريم بل قلت قدسيته فى نفوس كثير من الآباء والأبناء، يقول أحد الكتاب: «كانت ثورة ٢٣ يوليو قد أدخلت تعديلات فى نظام الأزهر فلم تقصره على العلوم الدينية والشرعية بل أدخلت فيه العلوم المادية والعصرية وانتهى بها الأمر، إلى إدخال الدراسات الماركسية والاشتراكية فى صلب دروس كلية أصول الدين»^(٢٦).

ماذا جت مصر من الشيوعية ؟

لقد جنت صناعات متهافته ومصانع متهاوية . لقد كانت الصناعات فى مصر قبل الشيوعية ذات جودة عالية فلما جاءت الشيوعية مبدأ من يعمل يأخذ ولا فصل لعامل مهما كان منه . لما جاءت بهذا بدأ الاستهتار يدب فى النفوس وظهرت الفوضى وعدم المسؤولية فى تصرفات العمال وأخذت الصناعات تتدهور شيئاً فشيئاً حتى أصبحنا لانتق فى صناعاتنا ،

(٢٤) لا عبرة بالمقولة التى تدعى أن الإحصائيات الآن تشير إلى كثرة طلبة الكليات الدينية الآن عن السابق إذ أن هذه الكثرة راجعة إلى زيادة عدد السكان من ناحية، من ناحية أخرى فالمجموع الذى يحصل عليه الطالب فى الثانوية له دخل كبير فى كثرة الطلبة أو قلتهم فى هذه الكليات.

(٢٥) وليس المقصود من هذا تكثير عدد الطلبة بالمعاهد الدينية وإلا فهناك وسائل أخرى لذلك وإنما المقصود هو صرف الطلبة عن حفظ القرآن الكريم وزرع الاستهتار فى نفوس الشباب لهذا الكتاب الحكيم.

(٢٦) بلشفة الإسلام د/ صلاح الدين المنجد ط ١٩٦٧، ص ٥٩

لقد كانت صناعة الزجاج في مصر من أجود الصناعات يعرف قيمتها الجميع فلما دخلت الشيوعية إلى مصر وجاءت بمبدئها الهدام الذي ذكرناه سابقا بدأ التدهور يدخل إلى هذه الصناعة شيئا فشيئا حتى أصبحت من أردأ الصناعات، وقل مثل هذا في بقية المواقع الزراعية والصناعية والتجارية.

هذه صورة لما حلّ بمصر من خراب ودمار وضياع نتيجة لدخول الشيوعية إلى هذا البلد الطيب بلد العلم والأزهر، وقل مثل هذا في جميع البلاد العربية والإسلامية التي دخلتها الشيوعية وبشت سمومها في جنباتها.

ولننتقل إلى بلد إسلامي آخر ألا وهو العراق لننظر ماذا فعلت الشيوعية ببلادنا العربية والإسلامية ولنطلع على الزلزال الشيوعي المدمر الذي أهلك الحرث والنسل في كل بلد وضع قدمه فيه.

ولأنني لم تكن لي إقامة بالعراق فإنني سأستعين في تصوير حالة العراق في ظل الشيوعية ببعض الكتابات التي سطرها بعض المعاشين لهذه الشيوعية في العراق العربي المسلم. وفي البدء نقول إن الشيوعية العربية - ومن ورائها الشيوعية الروسية والعالمية - كانت الأداة التي أشعلت حربا أهلية بين أبناء العراق العربي الإسلامي حيث جعلت من الموصل وكركوك ساحة عسكرية يضرب فيها أبناء الشعب المسلم بيد الشيوعية الكافرة الملحدة.

ويبدأ التخطيط لهذه المجزرة باجتماع للحزب الشيوعي العراقي فيقرر القيام بمذبحة في الموصل وكركوك وذلك للقضاء على العناصر المناوئة للشيوعية وتصفية الساحة أمام الشيوعيين لينفثوا سمومهم بنشر مبادئهم الهدامة وأفكارهم الملحدة وتحويل العراق من بلد إسلامي - قلبا وقالبا - إلى بلد شيوعي لا يؤمن بدين ولا برب خالق ورازق ، يقول أحد الشيوعيين الذين حضروا هذا الاجتماع وأحد المخططين للمذبحة « إن الشيوعية الطالعة تحوض اليوم أهم قسم من حربها ضد أعدائها ، إنها اليوم تقرر - وقد قررت بالفعل - أن تنتصر على الرجعية المتمثلة بمن يسمون أنفسهم بالقوميين العرب وهو الذين يعسكرون اليوم في الموصل أفواجا ووحدانا » (٢٧).

(٢٧) تجربة عربي ص ٢٦٢ (راجع مذكرات شيوعي عراقي ص ١١٧)

وبدأت الحرب بين أبناء البلد الواحد والدين الواحد، ودخل الشيوعيون مدينة الموصل، وأخذوا يقتلون ويسفكون وينهبون قاصدين من هذا كله رفع لواء الشيوعية على دماء وأشلاء المسلمين في بلدهم الإسلامى، يقول أحد الشيوعيين العراقيين السابقين (الرفيق رائد) واصفا مجزرة الموصل «وما كان السحل ليكفى البعض، وما كان التمثيل كافيا، ولكن حزبنا رأى أن هناك طرقا أخرى يستطيع بها الانتقام من الموتى فقد أصدر الحزب أوامره بأن ينفذ الحكم بأبجد المغتني وعمر الشعار وأن يحرقا بعد ذلك، وكان أن أحرقا بالفعل بعد أن سحلا... وما كان نصيب نهب الدور بأقل من أصحابها فقد نهبت وعبث بها أعضاء حزبنا وكوادرننا كأدق ما يكون العبث... ولم تكن تلك الأعمال لتجرى وفق أهواء فاعليها وإنما كان المجرمون رؤساء الحزب الذين يصدون الأوامر إلى الأعضاء والكوادر، كان أولئك المجرمون هم الذين يحركون تلك الدمى ويلعبون بها فكان هؤلاء أدوات تنفيذ ولكن ببشاعة وقذارة ووحشية» (٢٨).

وهكذا صنع الشيوعيون مجزرة الموصل، وهكذا سحلوا الأبرياء وقتلوا الأطفال والنساء، وعلقوا جثث ضحاياهم على الأشجار وعلى أعمدة الكهرباء وتركوها لحوما معلقة للذئاب منها تأكل، وللطيور منها تنهش، وللشياطين الحمر أبناء الشيوعية الحمراء يقذفونها بالأحجار، يسخرون منها ويستهنون بها بلا شفقة ولا رحمة، وهل للشيوعى قلب إنسان حتى تكون فيه شفقة أو رحمة؟ وهل للشيوعى إحساس إنسانى وشعور وجدانى حتى تتحرك فيه دوافع الشفقة والرحمة؟ إن من كان شعاره اللون الأحمر (لون الدماء) فإنه لن تكون فيه شفقة ولا رحمة وإنما التشفى برؤية الدم الأحمر يسيل من أخيه العربى، ونفس المجزرة بل أشد منها قام بها الشيوعيون فى كركوك فاخترعوا طريقة التقتيل الجماعى، ولقد رأى حاكم العراق فى ذلك الوقت هذه المذابح فوصفها بأنها لطخة سوداء فى تاريخ العراق تفوق فى هولها مجازر هولوكو الذى هدم بغداد ٦٥٦هـ (٢٩).

وإذا ما انتقلنا إلى سوريا فمجازر حلب التى قام بها الشيوعيون ليست منا ببعيد، لقد هدموا قرى بأكملها ودكوا مدنا وهدموا مساجد وقتلوا المصلين بالآلاف، ووضعوا فى السجون مئات الألوف وما هذا إلا لتصفية سوريا من شبابها وعمادها فى المستقبل، والقضاء على

(٢٨) تجربة عربى ص ٢٥١/٢٥٠

(٢٩) تجربة عربى - ص ٢٤٩

الإسلام وانتزاعه من قلوب الشعب السوري المسلم كى تجد الشيوعية لها مكانا على أرض سورية المسلمة تنفت منه سمومها الإلحادية على الدولة الإسلامية المجاورة.

وهل ينسى المسلم تسليم لواء الاسكندرونة إلى تركيا؟ هل ينسى المسلم أن الشيوعية العالمية والعربية كانت وراء هذه الجريمة؟ لقد لعبت الأحزاب الشيوعية في روسيا وفرنسا وسوريا دورا كبيرا في هذه القضية ومهدت بكل الوسائل لتسليم جزء غالٍ من سوريا إلى تركيا، وتم للشيوعية ما أرادت واقتطع لواء الاسكندرونة وسلم لتركيا لقمة سائغة وأصبحت هوية المواطن السوري في تلك المنطقة هوية تركية تابعة لمبادئ أتاأتورك الذى انفصل عن الإسلام وفصل شعبه عن الديانة الإسلامية.

وحين نبحت عن اليد الخفية نراها الشيوعية، وحين نبحت عن اليد الظاهرة نراها يد أبناء البلد الذين انسلخوا عن دينهم ووطنهم فسلموا هذه الأرض لتركيا حبا في الشيوعية وإطاعة لأوامرها وتنفيذا لرغباتها.

وإذا كان ولاء الشيوعى للشيوعية أكبر من ولائه لدينه ووطنه فلا عجب إذا ما رأينا خالد بكداش^(٣٠) يقف مناديا زملاءه في الشيوعية قائلا: «يجب أن نعالج الموضوع - يقصد موضوع لواء الاسكندرونة - بروح أممية شيوعية لا بروح قومية متعصبة فليذهب لواء الاسكندرونة، وليذهب أى جزء آخر من سورية فداء لحكم الجبهة الشعبية في فرنسا فإن هذا الحكم هو نقطة الانطلاق نحو انتصار الشيوعية في فرنسا وبالتالي في البلاد التابعة لها ومنها بلادنا»^(٣١).

وهكذا نجد ولاء ابن البلد لغير البلد لأنه تسمم بالأفكار الشيوعية، ونجد ولاء العربى لغير العربى لأنه تشبع بالإلحاد الشيوعى، وهكذا ضاع لواء الاسكندرونة حبا في الشيوعية العالمية والعربية.

ونأتى إلى مشكلة فلسطين - مأساة العرب والمسلمين - لتتضح لنا صورة التدمير الشيوعى لبلادنا العربية والإسلامية.

يذكر التاريخ أن بريطانيا قبل أن تخرج من فلسطين كانت قد سمحت للصهيونية بإنشاء

(٣٠) الأمين العام للحزب الشيوعى السورى في ذلك الوقت.

(٣١) تجربة عربى في الحزب الشيوعى - قلعجى ص ١١٥

جيش سرى يدافع عن الإسرائيليين وعن حقوقهم التى فرضت على العرب فرضاً، وأصبح للغرباء عن الأرض جيش سرى فى فلسطين وبدأت العصابات الصهيونية فى اقتحام المنازل العربية وقتل من فيها أو طردهم من بيوتهم وأرضهم وحرقت مزرعاتهم ونهب أموالهم حتى تخضع الأرض العربية والإسلامية لسيطرتها وكى تكون تحت إمرتها ونفوذها، وازدادت حدة المعارك بين الصهاينة والعرب وتعقدت المشكلة وكبرت مع مرور الأيام وتدخلت دول من هنا ومن هناك من أجل وضع حد لهذه المعارك، وظهر مشروع التقسيم، تقسيم فلسطين العربية المسلمة إلى منطقتين: منطقة يهودية وأخرى عربية، وهنا يأتى دور الشيوعية، ذلك أن الاتحاد السوفيتى رائد الشيوعية الحمراء كان أول المنادين بإنشاء دولة لليهود فى فلسطين العربية المسلمة، وعلى منبر الأمم المتحدة وقف جروميكو وزير خارجية روسيا يقول: «إن الاتحاد السوفيتى قد رفض الرأى بإعلان استقلال فلسطين فى دولة واحدة وأيد خلق دولة لليهود وأخرى للعرب فى فلسطين، إن للعرب واليهود جذورا تاريخية قديمة راسخة فى فلسطين فمن حق اليهود أن يبنوا دولة لهم هناك.... إن قرار التقسيم لا يتعارض مع مصالح الجماهير العربية واليهودية» (٣٢).

وأما مندوب تشيكوسلوفاكيا - صنيع الشيوعية - فيقف أمام الأمم المتحدة ويقول: «إن موقف الدول العربية هنا هو موقف عناد لا مبرر له، إن اليهود هم الذين فى حاجة إلى عوننا لا العرب» (٣٣).

ويقول مندوب يوغسلافيا فى ذات القضية «يجب أن نعترف هنا بأنه حتى قرار التقسيم لا يحقق للصهيونية كل أهدافها وكل حقوقها فى فلسطين فنحن حين ندعو إلى قبول مشروع التقسيم فإننا نمنع عن الحركة الصهيونية بعض حقوقها وعلى العرب أن يقدروا مبلغ تضحية اليهود فى قبول مشروع التقسيم» (٣٤).

وبهذه الكلمات نجد أن الدول الشيوعية قد جعلت للصهاينة حقا فى فلسطين وأما أبناء البلد فهؤلاء ليسوا فى الحسبان، من حق اليهود أن يبنوا لهم دولة على أرض العرب المسلمين وليس مهما أن يضيع حق الإنسان المسلم فهذه الشيوعية تشريد المسلمين ونزع الإسلام من أى أرض يقف عليها، وحين يقف العرب مطالبين بوطنهم ومدافعين عن حقوقهم يقف مندوب

(٣٢) (٣٣) (٣٤) تجربة عربى ص ١٤٢

تشيكوسلوفاكيا ويسمى هذا عنادا لا مبرر له، الذى يدافع عن أرضه معاند، ومغتصب الحق ليس بمعاند، هذا هو ميزان الشيوعية فى كل مكان، تقلب الحق باطلا والباطل حقا، وهكذا بصنيع الشيوعية العالمية قامت إسرائيل، وبصنيع الشيوعية ضاعت فلسطين وضاع شعبها وتشرذ أهلها.

ولما قامت الدولة الصهيونية كانت الدول الشيوعية من أوائل الدول التى اعترفت بهذه الدولة المعتدية على حق وأرض ووطن الشعب الفلسطينى العربى المسلم.

وحين قامت الحرب بين دولة الصهاينة وبين الدول العربية كانت الدول الشيوعية من مصدرى الرجال - علماء وخبراء وجنود - لإسرائيل، والشيوعيون هم الذين كانوا يقدمون السلاح لإسرائيل فقد بلغ ما شحن - فى أول الحرب - إلى ميناء حيفا على البواخر الرومانية واليوغسلافية: ٢٤ طائرة تشيكوسلوفاكية، ١٢٦ دبابة متنوعة، ٤٠٠ سيارة مصفحة، ٧٠ مدفعا ثقيلًا، ٣٥٠ من المدافع المتنوعة، مائة ألف بندقية ورشاشة، ١٥٠ طنا من القذائف اليدوية، ٣ آلاف طن من الذخائر، وألف سيارة نقل (٣٥).

وبهذه الأسلحة التى قدمها الشيوعيون للصهاينة - وغيرها كثير - انتصرت إسرائيل على العرب واقتطعت جزءا من الوطن العربى والإسلامى، وتبع هذا الجزء جزء آخر وهكذا حتى استولت إسرائيل على أرض فلسطين كلها، وتعدى الأمر إلى ضرب الدول العربية والإسلامية المجاورة، وتكررت المعارك بين إسرائيل والدول العربية والإسلامية المجاورة لها، واستولت إسرائيل على أجزاء من أراضى هذه الدول، وقام مجلس الأمن الدولى ببحث المشكلة، ويقف مندوب الاتحاد السوفيتى - حامى حمى الشيوعية - ليقول:

«على مجلس الأمن أن يوافق فقط على وقف القتال وأن يرفض طلب العرب بضرورة انسحاب اليهود من المواقع التى كسبوها لأن اليهود دولة تدافع عن كيانها أمام الجيوش المعتدية على إسرائيل» (٣٦).

وبذلك يستطيع كل عاقل أن يدرك ما صنعتها الشيوعية بنا فى فلسطين فهى التى شجعت قرار التقسيم، وهى التى غذت إسرائيل بالرجال والسلاح، وهى التى وقفت ضد انسحاب

(٣٥) تجربة عربى ص ١٥٩

(٣٦) المرجع السابق ص ١٦٤

إسرائيل من الأرض العربية التي استولت عليها ظلما وعدوانا، واليوم نجد روسيا الشيوعية قد تخلت عن منظمة التحرير الفلسطينية وتركتها نهبا للضربات الإسرائيلية وضربات بعض الدول الأخرى.

وبعد : فلا يصعب على الإنسان العربى والإنسان المسلم فى أيامنا هذه أن يتعرف موقف الاتحاد السوفيتى - رائد الشيوعية - من إسرائيل والمسلمين - عربا كانوا أم غير عرب - وذلك حين يقرأ التحليلات السياسية والصحفية لمعارك العرب مع إسرائيل.

فالالاتحاد السوفيتى هو أكبر ممول لإسرائيل، يمونها بالرجال من كل تخصص، وكلنا يعلم أن صنع السلاح أمر سهل وميسور أما صنع الرجال فعمل شاق ومهمة صعبة وكبيرة تستغرق سنين عديدة، ومع هذا فإن مهمة الاتحاد السوفيتى فى المحافظة على الكيان الإسرائيلى هو مدها باليد العاملة والعلماء والخبراء فى كافة المجالات المدنية والعسكرية والفكرية، أضف إلى هذا ما يقوم به الاتحاد السوفيتى من مناورات مع الدول العربية والإسلامية التى تشتري منه السلاح، فوقت أن تشتد المعركة ويكون النصر قاب قوسين أو أدنى من العرب والمسلمين نرى روسيا الشيوعية تتباطأ فى توريد السلاح بشتى العلل والأعذار وذلك كى تنقلب المعركة لصالح إسرائيل، فإن أعطى الروس السلاح للعرب فإنهم يقصرون عطاءهم على الأسلحة الدفاعية فقط والتى هي أقل فى النوعية والدرجة والقوة مما مع إسرائيل وذلك ليضمن حاجة العرب والمسلمين إليه دائما ويضمن بقاء إسرائيل شوكة فى ظهر العرب والمسلمين وجسما غريبا وبؤرة فساد داخل الوطن العربى والإسلامى.

وحين يزيد الاتحاد السوفيتى فى معوناته العسكرية أو الاقتصادية للدول العربية أو الإسلامية المتعاملة معه فذلك فى مقابل إعطاء موضع قدم أخرى للشيوعية الروسية فى هذه البلاد.

وهكذا إذا أردنا أن نتحقق موقف الشيوعية من العرب والمسلمين رأينا أن هذه الشيوعية - والبلاد التى تناصرها - لا تريد الخير للعرب ولا المسلمين، ولا تريد لهم حرية ولا استقلالاً وإنما فقط تريد لهم شيوعيين يسرون فى ركابها يأتمرون بأمرها، ويكونون طوع وإرادتها، ورهن إشارتها، ولكن هيهات هيهات.

صور من القتل والدمار الذى حل بالعالم الإسلامى على يد الشيوعية:

حين ظهرت الشيوعية وأصبح لها دول تحميها بقوة السلاح انقضت على المسلمين سواء في روسيا أو في غيرها من الدول الشيوعية وفتكت بشباب المسلمين، ونكلت بشيوخهم ونسائهم، وهدمت دور العبادة، ونهبت أموال المسلمين، وشردت من بقى منهم هنا وهناك، وقامت بترحيل بعض الأسر المسلمة من ديارهم الإسلامية ووطنهم الذى تربوا فيه إلى ديار شيوعية، ثم زرعت داخل الأرض الإسلامية شبابا شيوعيا وجماعات إلحادية كى تحدث خلخلة في الحياة الاجتماعية الإسلامية ولكى يكون هذا الشباب الشيوعى عينا للشيوعية العالمية على المسلمين في أى موقع أو موطن.

يقول الدكتور عبدالحليم محمود «إن الشيوعية أخطر المذاهب محاربة للإسلام وأحرصها على تدميره، لقد قتلت الملايين من المسلمين، ونهبت أموال الباقين وقضت على حريتهم في تعليم الإسلام ونكلت بكل متدين وضربت بيد من حديد على كل متمسك بالدين مسيحيا كان أو مسلما»^(٤٢).

وإذا كنا نقول بأن الشيوعية قد فتكت بملايين المسلمين فليس هذا قولاً خيالياً أو دعوى كاذبة وإنما هى دعوى موثقة من الأمم المتحدة والصحافة العالمية، فقد كتب اللاجئون المسلمون والهاربون من الاضطهاد الشيوعى شكوى بأحوالهم وما فعلته الشيوعية بهم وأرسلوا هذه الشكوى إلى سكرتير الأمم المتحدة عن طريق وكيل الجامع الأزهر في ذلك الوقت ورئيس جماعة الكفاح الإسلامى، وبعد المقدمة جاء في الشكوى مايلي:

«وسنوجز هنا الطرق التى دأبت الشيوعية على سلوكها في سبيل اضطهاد المسلمين ومحو معالم دينهم ومدينتهم مدعين كل طريقة منها بالأمثلة الحية من الوقائع والحوادث الثابتة:

١ - الإبادة الجماعية أو نفى جزء من الشعب أو الشعب كله من وطن آبائه وأجداده إلى سيبيريا أو إلى مناطق أخرى حيث يفقدون الصلة بوطنهم الأصلي ويضيعون بمرور الزمن، ونستدل على ذلك بالوقائع الآتية:

(١) قتل الشيوعيون في التركستان وحدها سنة ١٩٣٤ مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية والعلماء والمثقفين والتجار والمزارعين.

(٤٢) فتاوى عن الشيوعية - د/عبدالحليم محمود ص ٧

- وفيما بين سنة ١٩٣٩/٣٧ أُلقت روسيا القبض على ٥٠٠ ألف مسلم وعدد من الذين استخدمتهم في الوظائف الحكومية ثم أعدمت فريقتين وأرسلت فريقتين أخريين إلى مجاهل سيبيريا.
- وقتلوا سنة ١٩٥٠ سبعة آلاف مسلم، ونفوا من التركستان سنة ١٩٣٤ ثلاثمائة ألف مسلم.
- وقد هرب من التركستان منذ سنة ١٩١٩ حتى اليوم - أى حتى كتابتهم لهذه الشكوى - مليونان ونصف مليون من المسلمين.
- وفي سنة ١٩٤٩ هرب ألفان من التركستان الشرقية ولاقى حتفه من هذا الفريق الهارب «١٢٠٠» وهم في الطريق إلى الهند.
- وفي سنة ١٩٥٠ هرب من التركستان ٢٠٠٠٠ من المسلمين التجأوا إلى البلاد الإسلامية في الشرق الأدنى.
- ومن سنة ١٩٣٢/١٩٣٤ مات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد وتقديمها إلى الصينيين الذين أدخلوهم إلى تركستان.
- ونتيجة لقانون مزج الشعوب في الاتحاد السوفيتي نفث روسيا «٤٠٠٠٠٠» مسلم تركستاني إلى أوكرانيا وأواسط روسيا فاندمجوا في تلك الشعوب وفقدوا وطنهم الأصلي.
- وفي سنة ١٩١٥ أُلقي القبض على ١٣٥٦٥ مسلم في التركستان وأودعوا المعتقلات.
- (ب) أبادوا في القرم سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم بالجوع، وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة في عهد «ملاكون» الشيوعي الهنغاري الذي نصبوه رئيساً للجمهورية القرمية الإسلامية.
- وفي سنة ١٩٤٦ نفوا شعبين كاملين وهما شعب جمهوريتي القرم وتشيس إلى مجاهل سيبيريا وأحلوا محلهم الروس.
- وقد قلد الشيوعيون في شرق أوروبا رفاقهم في الاتحاد السوفيتي فأبادوا في يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ٢٤ ألف مسلم (١٥ ألف من مقاطعة طوزلا، ٣ آلاف في مدينة سراييفو، ٦ آلاف من ماكيدونيا وكوسوفا - أتوا بهم إلى مدينة دوبرونيك ثم أبادوهم).

(٢) هدم المساجد وتحولها إلى دور للهو واستخدامها في غايات أخرى، وإقفال المدارس الدينية.

(١) وقد بلغ مجموع المساجد التي هدمت أو حولت إلى غايات أخرى في التركستان وحدها ٦٦٨٢ جامعا ومسجدا منها أعظم المساجد الأثرية.

- وبمجموع عدد المدارس والكتاتيب التي أقفلوها في التركستان يبلغ «٧٠٥٢» مدرسة.

(ب) وفي القرم طمسوا معالم الإسلام بما فيها الجوامع الأثرية وأغلقوا في مدينة سراييفو «الأكاديمية» الإسلامية العليا للشريعة الإسلامية وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط أبقوا عليها للدعاية.

(٣) قتل رجال الدين أو نفيهم أو الحكم عليهم بالأشغال الشاقة أو منعهم من الحقوق السياسية بل والحقوق الإنسانية.

(١) لقد قامت روسيا بعدة حملات على رجال الدين المسلمين في التركستان وغيرها من المناطق الإسلامية الشاسعة المندمجة في امبراطوريتها وقتلت كثيرا منهم.

(ب) وكذلك عملوا في القرم حيث أضافوا إلى وحشيتهم مع رجال الدين حرق المصاحف الكريمة في الميادين العامة.

(ج) وفي يوغسلافيا قتلوا مفتي كرواتيا فضيلة الشيخ «عصمت مفتيتش» والعالم الفاضل «الشيخ مصطفى يوصولا جيتش».

- وحكموا بالأشغال الشاقة مددا مختلفة على «١٢» عالما دينيا بعد محاكمة صورية في مدينة سراييفو.

(٤) قتل الزعماء السياسيين أو نفيهم فقتلوا في التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤ الحاج «خوجة نياز» رئيس الجمهورية، ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء، وشريف حاج قائد مقاطعة آلتا.

(٥) منع المسلمين من التمتع بالنظم الإسلامية في دائرة الأحوال الشخصية، فقد ألغيت المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي، وفي يوغسلافيا نشرت جريدة Novodobe الصادرة في ساربيفو بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٤٦ قانونا بإلغاء المحاكم الشرعية في جميع أنحاء يوغسلافيا، ومعنى ذلك خروج الأسرة الإسلامية من دائرة توجيه

الشرية الإسلامية إلى دائرة القوانين الشيوعية التي تنادى بالإباحتية التامة وبانحلال الروابط الطبيعية بين أعضاء الأسرة الواحدة»^(٤٣).

وبعد :

فلقد أعطيت صورة واضحة عن علاقة الشيوعية بالصهيونية والتي يتبين لنا أننا لا نحارب قوة واحدة وإنما نحارب قوتين من أعنى القوى الغاشمة كل واحدة منها تهدف أساسا إلى تدمير الإسلام وأرض الإسلام وأهل الإسلام.

وهاهى الشيوعية والصهيونية تلتقيان على الأرض العربية والإسلامية، ففي غرب العالم الإسلامي - أى غرب أرض الشام - تستولى الصهيونية على أرض فلسطين، وفي شرق العالم الإسلامي تستولى الشيوعية على أرض أفغانستان، في غرب العالم الإسلامي قتل وفتك وسفك دماء وهدم وتخريب وذلك على يد إسرائيل القوة الغاشمة المعتدية. وفي شرق العالم الإسلامي قتل وسفك دماء وهدم وتخريب وذلك على يد الشيوعية القوة الغاشمة المعتدية.

أيضا وضحت للقارىء الأساليب الملتوية والتي اتبعتها الشيوعية في الوصول إلى قلب العالم الإسلامي، ولقد تبين من هذه الصورة أن دعوى الإصلاح الاقتصادى أو الاجتماعى أو مساعدة العالم الثالث للحصول على السلام والحرية ماهى إلا وسائل ابتزازية تلجأ إليها الشيوعية لإخضاع الجماعة الإسلامية لفكرها ونظمها وعقيدتها، وأن الشيوعية لم تأت وفي ركايبها الرخاء والتقدم والحضارة وإنما جاءت وفي ركايبها الفقر والضياع والتأخر الحضارى.

كما بينت في الاستعراض الجغرافى أن الشيوعية متواجدة الآن داخل العالم الإسلامى ومحيطه به وذلك كى تنفذ بأفكارها الإلحادية إلى قلب الإنسان المسلم فتصرفه عن دينه وترزعزعه ثقته في عقيدته وبالتالي تجذبه إلى هذه الأفكار الماركسية التى كفرت بالله وأمنت بالمادة.

وأخيرا فقد وضحت بالإحصائيات اليقينية مدى التدمير الذى لحق بالعالم العربى والإسلامى سواء التدمير العقائدى أو الثقافى والفكرى أو الأخلاقى أو هدم البيوت والمساجد والأرض ودور العبادة.

(٤٣) نقلا عن : الاسلام فى وجه الزحف الأحمر - محمد الغزالى (ط ٦ سنة ١٩٧٦) ص ١٣٦ - ١٤٠

وبهذا يتضح لكل عاقل أن الشيوعية لا توائم الإنسان المسلم ولا الفكر الإسلامى ولا العقيدة الإسلامية ولا الأخلاق الفاضلة المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وبهذا يتبين لكل عاقل أن الشيوعية متعارضة تمام التعارض مع الدين الإسلامى فى جانبه العقائدى والأخلاقى والاجتماعى ولا يمكن أن يتفق دين الوحدانية والروحانية مع المادية الكافرة، ولا يمكن للدين الذى يقدر الحياة الأسرية أن يتفق مع الشيوعية القائمة على الفوضى الأسرية والمرأة للجميع والولد ملك الدولة.

وإذ رأينا الشيوعية بهذه الصورة القبيحة وبهذا التعارض مع الدين الإسلامى فإنه يجب على كل مسلم أن يقف من هذه الشيوعية موقفا صلبا فيحاربها بكل قوة ممكنة ويحمى نفسه وأهله ووطنه من هذه الأفكار الهدامة والمدمرة.

ويجب على كل مسلم أن يتسلح بسلاح العلم والفكر والمعرفة حتى يستطيع الرد على هذه الأفكار الماركسية ويكشف حقيقتها ويبين لغيره من اخوانه المسلمين مدى الخطر الذى يواكب الشيوعية ويسير فى ركابها.

وعلى كل مسلم أن يتنبه للدعاية الشيوعية المسمومة، وليعلم أن ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

وليس أمام المسلم إلا التمسك بكتاب الله، وليس أمام المسلم فى وسط هذه التيارات الالحادية وأمام هذه المذاهب المادية إلا التمسك بوحى الله الذى نزل على خير رسول ألا وهو القرآن الكريم، عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنها ستكون فتن» قلت فما المخرج منها يارسول الله؟ فقال: «كتاب الله فيه نأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن ولا تتفضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»^(٤٤).

(٤٤) أخرجه الترمذى (٢٩٠٨) فى ثواب القرآن : باب ما جاء فى فضل القرآن، والدارمى ٤٣٥/٢ وفى سنده الحارث بن عبدالله الأعور والجمهور على توهينه.